المحاضرة الثالثة: نشاط التبادل

اعداد أستاذ المقياس: د.حميد فشيت

تمهيد

الانسان مخلوق اجتماعي بطبعه، عرف مشاركة ما يملك منذ القدم، وقد أدرك منذ الأزمة الغابرة أنه لا يمكن أن يوفر كل ما يحتاج ان اعتمد على إمكاناته بل يجب أن يعتمد على غير في الحصول على العديد من المستلزمات التي لا يستطيع توفيرها بنفس لسبب أو لأخر ، انطلاقا من هذا المنطق وحتى تتحقق منفعة جميع الأطراف ضهر ما يعرف بمفهوم التبادل، حيث يقوم البشر بتبادل ما يملكون أو يستطيعون تقديمه للغير مقابل حصولهم على ما يحتاجونه أو يرودونه أو يستطيع الغير أن يقدمه لهم، وبالتالي ينتفع الطرفين ودون أن ينشأ خلاف بينهم. وقد تطور شكل التبادل عبر العصور ليصل الى الشكل الذي نعرفه في عصرنا الحالي والذي سنوضحه في فقراتنا اللاحقة.

أولا: مفهوم التبادل

يقول أدم سميث " اعطيني ما أحتاجه منك، وسأعطيك ما تحتاجه مني"، بهذه العبارة عبر سميث عن التبادل، أي أن التبادل يحدث بين طرفين كل منهما يحتاج ما يملكه الطرف الاخر وهو بدوره يملك ما يحتاجه الطرف الثاني، وكل منهما لديه الرغبة والإرادة في مبادلة ما يملك بما لا يملك.

ويرى كارل ماركس أبو الاشتراكية أن التبادل يتم على أساس "مبادلة القيمة الاستعمالية بالقيمة التبادلية للخيرات"، والقيمة الاستعمالية يقصد بها استهلاك أو استخدام السلعة لإشباع الحاجات الشخصية، أما القيمة التبادلية يقصد بها استخدام السلعة لمبادلتها بسلع أخرى لها ستستعمل لإشباع الحاجات الشخصية، فالفلاح الذي يزرع البطاطا ليس بكل الحاجة الى كل الكمية التي ينتجها، بل يذهب الى السوق لمبادلتها مع أشخاص في حاجة الى استهلاكها (للبطاطا قيمة استعمالية عندهم) بسلع لها قيمة استعمالية عنده، وبالتالي للبطاطا قيمة تبادلية عند هذا الفلاح.

ثانيا: خصائص التبادل.

للتبادل عدة خصائص نذكر منها:

1- التبادل خاصية إنسانية: أي ان التبادل خاص بالإنسان فقط، وكما يقول سميث " لم نرى قط كلبين يتفاوضان في أمر اقتسام قطعة عظم، ولم نرى حيوان محاولا افهام حيوان اخر هذا لي وهذا لك، سأعطيك ما أملك مقابل أن تعطيني ما تملك".

2- التبادل أخذ وعطاء، أو عطاء وأخذ، أي هو إعطاء شيئ مقابل الحصول على اخر سواء كان مكافئا له، أو غير مكافئ له.

3- التبادل يتطلب امتلاك الطرفين أو الأطراف المتبادلة شيء أو سلعة للمبادلة لها قيمة استعمالية أو تبادلية للطرف الاخر، فلا يمكن القول عن الهدية أو الهبة أو الصدقة السرقة أو الاغتصاب بالقوة أنه عملية مبادلة، فهنا نجد أن طرف واحد يأخذ ولا يعطي.

4- التبادل يتم برضى وموافقة الطرفين على عملية المبادلة، أي رغبة أي طرف في مبادلة ما يملكه مع ما يملكه الطرف الاخر، وموافقته على ذلك دون اجبار أو ضغط لقوى خارجة عن مصلحة التبادل بين الطرفين.

5- عملية التبادل ناشئة عن دافع المصلحة بين الطرفين، وليس بدافع الشفقة أو العاطفة أو الخوف، والا تحولت العملية الى الاشكال التي سبق وذكرناها (صدقة، منة، ...أو سطو، سرقة...).

6- لا يقتصر التبادل على تبادل الخيرات أي السلع والخدمات بل قد يتجاوزه الى تبادل رمزي للأفكار، اللغات، الآراء، السلوكيات...الخ (تبادل رمزي فقط).

ثالثا: أنواع التبادل.

يأخذ التبادل شكلين رئيسيين وهما التبادل المباشر والتبادل الغير مباشر وفيما يلي شرح مختصر لهما.

1-التبادل المباشر: وهو ما يطلق عليه أيضا مطلح **المقايضة** (TROC-fr, BARTER-eng-)، والذي يقصد به مبادلة سلعة بسلعة، وتعد المقايضة أو شكل من أشكال التبادل بين البشر ، حيث كانو يتبادلون السلع فيما بينهم، الجلود والصوف مقابل الملح مثلا، وقد كانت القبائل تستخدم هذا الشكل من التبادل نظرا لعدم وجود أو الاتفاق على أداة وسيطة لاتمام عملية التبادل.

ويعرف التبادل المباشر على انه يحدث عندما يتبادل الافراد السلع التي يستخدمونها استخداما مباشرا.

أي أن التبادل المباشر يشترط أن كل طرف يرغب في استعمال السلعة التي يمتلكها الطرف الاخر في المبادلة استخداما مباشر، بمعنى اخر للسلعة المقابلة قيمة استعمالية، ولا يرغب أو ينوي مبادلتها بسلعة أخرى في المستقبل.

للمقايضة عدة سلبيات جعلتها غير عملية في كثير من الحالات والتي نذكر منها :

1- صعوبة تحديد قيمة السلعتين، أي صعوبة تحديد قيمة السلعة الأولى بالسلعة الثانية.

2- صعوبة توافق الطرفين على السلعتين، فقد يرغب طرف في سلعة الطرف الاخر ، لكن الطرف الثاني قد لا يرغب في سلعة الطرف الأول.

3- صعوبة النقل، التخزين، سرعة التلف...الخ.

كل هذه الصعوبات أوجبت التفكير أو العمل على إيجاد وسيط يسهل عملية المبادلة، وهو ما أدى الى ظهور فكرة التبادل غير المباشر والنقود.

2- التبادل غير المباشر : على عكس التبادل المباشر، فإن التبادل غير المباشر في الغالب يتطلب وسيطا، وأكثر شيء معروف على أنه وسيط في عملية المبادلة هو النقود بمختلف أشكالها والتي سنوضحها لاحقا.

ويعرف التبادل الغير مباشر على انه " تبادل يحدث عندما يقبل أحد الأطراف على الأقل سلعة لا ينوي استخدامها بنفسه، بل سيبيعها في المستقبل ليحصل على سلعة أخرى".

أي أن التبادل غير المباشر يحدث عندما ينوي أحد طرفي المبادلة مبادلة سلعة (أ) بسلعة أخرى (ب) ليس في نيته استخدامها شخصية، بل يرجو أن يبادلها بسلعة أخرى (ج) سيستعملها، وهذا معناه أن السلعة (ب) ليس لها قيمة استعمالية لدى هذا الشخص بل قيمة تبادلية.

وكتوضيح أكثر للتبادل غير المباشر نفترض انه لينا شخصين وهما أحمد ورضا، حيث يملك أحمد سيارة من نوع Toyota Corolla، ورضا يملك جرار ، رضا يريد بيع الجرار لكن لا أحد من معارفه يريد ذلك، اقترح عليه أحمد مبادلته بالسيارة التي يملكها، فوافق رضا على ذلك ليس رغبة في سيارة أحمد بل لأنه سيتمكن من بيعها بسهولة، فهو لا ينوي الاحتفاظ بها، على هذا الأساس فالسيارة بالنسبة لرضا لها قيمة تبادلية وليس استعمالية.

على العموم فإن شكل التبادل غير المباشر قد تطور منذ القدم مع ظهور ما يعرف بالنقود والتي ستوضحها فيما يلي.

رابعا: النقود.

النقود (Money- la Monnaie)، عرفها الانسان منذ القدم في أشكال متعددة لعل ابرزها استخدام الجلود، الملح، المعادن النفيسة كوسيط في عملية المبادلة، حيث كان البشر في القديم يستعملون هذه السلع كوسيط في مبادلة سلعهم كاستخدام الملح والجلود ليس بغرض استعمالها بل بغرض تسهيل الحصول على سلع أخرى.

والنقود بشكل عامل هي كل وسيط ستخدم في عملية التبادل الغير مباشر والذي يحظى بالقبول العام، أي أن النقود هي أي شيء له قيمة تبادلية أو يستعمل في التبادل لغرض قيمته التبادلية، وله قبول عام من قبل المجتمع أو عامة الناس ولا يعترضون على قبوله كوسيط في عملية المبادلة، وعلى العموم تتمتع النقود بمجموعة من الخصائص وهي:

1- وسيط في عملية المبادلة

2- القبول العام:

3- مخزن للقيمة

4- تسهل عملية التبادل من حيث كونها سهلة التجزئة، سهلة الحمل، سهلة الحماية والتخزين ...الخ.

خامسا: أنواع النقود

أدت الحاجة الى إيجاد وسيط لتسهيل عملية المبادلة الى ظهور العديد من أشكال النقود والتي نوجزها فيما يلي:

1-النقود السلعية: تعد النقود السلعية أولى أشكال النقود التي عرفها الانسان، حيث كما ذكرنا استخدمت بعض السلع كالملح، الجلود، القمح...الخ كوسيط في عملية المبادلة.

2-النقود المعدنية: وقد ظهرت نتيجة لاكتشاف الانسان للمعادن النفيسة، حيث وجد أن استخدامها أسهل من استخدام النقود السلعية سالفة الذكر، واستخدم الانسان الذهب، الفضة الى حتى اجل قريب (انهيار قاعدة الذهب)، والنقود المعدنية هي في الواقع مثل النقود السلعية لأن هذه المعادن النفيسة هي بحد ذاتها لها استعمالات شخصية كثيرة، وهي بدورها أيضا نادرة ومحل تنافس.

3-النقود االقانونية: وهي نقود قانونية يصدرها البنك المركزي، لها قوة ابراء قانونية، تحمل قيمة اسمية، ويلجأ البنك المركزي الى اصدار قطع معدنية تحمل قيمة اسمية لإجراء المعاملات الصغيرة، وقطع ورقية للمعاملات المتوسطة والكبيرة.

4-النقود الائتمانية : وهي نقود المصارف، حيث تتمتع المصارف من خلال قدرتها على منح القروض على فرصة خلق النقود من الوداع التي يضعها العملاء فيها، حيث أن بإمكان البنك منح قروض من الوداع المودعة فيه، كما أن إمكانية السحب والدفع عن طريق الشيك أو الحساب الالكتروني للزبون بدوره يعتبر شكل من أشكال النقود، غير أنه لا تتمتع بالقبول العام وقوة الابراء القانونية مثل النقود القانونية التي يصدرها البنك المركزي، فبإمكان الطرف الثاني قبولها أو رفضها.

5-النقود الالكترونية : النقود الالكترونية هو شكل حديث من أشكال النقود والتي تصدرها البنوك في شكل حسابات مصرفية على تشتغل عبر الشبكة (غالبا شبكة الانترنيت)، أو عن طريق بطاقات الدفع الالكترونية مثل : Master Card، Visa Card، Carte CIB لبريد الجزائر، البطاقات البنكية ...الخ، والتي تشتغل عبر الصرافات الالية او عبر الشبكات، فالنقود الالكترونية هي شكل من أشكال النقود التي تصدرها المصارف لكنها تحمل طبيعة افتراضية وهي عدة أنواع مثل المحفظة الالكترونية (Electronic purse) والتي هي عبارة عن بطاقة تحتوي على قيمة نقدية مخزنة فيها أي هي بطاقة ذكية، النقود الرقمية (Digi cach) وفي هذا النوع يتم خزن النقود في القرص الصلب للحاسوب الشخصي الذي يكون موصول بالشبكة أي هي عبارة عن برنامج مثبت في الحاسوب الشخصي.

6-النقود الافتراضية: وهي شكل حديث من أشكال النقود والتي تتوفر فقط عبر الشبكة العنكبوتية ويتم تعدينها أو خلقها عبر الحواسيب والشبكات، وهي عملات لا مركزية أي لا تخضع لأي سلطة أو بنك مركزي، والعديد من الدول لا تسمح بإجراء المعاملات عبرها، وقد ظهرت مؤخرا العديد من هذه العملات والتي يعد من أشهرها على الاطلاق البيتكوين Bitcoin (الرمز ₿) والذي قفزت قيمته من 0.001 دولار أمريكي لـ01 بِتْكوين سنة 2009 الى 26650 دولار أمريكي لـ 01 بِتْكوين تاريخ كتابة هذه السطور (2020/12/29م)، إضافة الى هذه العملة الافتراضية هناك عملات أخرى على غرار: ايثيريم، تيثير،ريبيل، لايتكوين، كاردانو، بينانس كوين، تشاين لينك ...الخ.